بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم تعد صناعة الكتاب أمرًا مقتصرًا على المشتغلين بإنتاج الكتب، لقد أصبح القارئ طرفًا فى صناعة الكتاب، لذلك أصبح الحديث إليه فى صناعة الكتاب ونشره حديثًا يعنيه.. ولأن ميول القراء وظروف حياتهم اليومية وأنماط معيشتهم أصبحت عنصرًا هامًا فى تحديد حجم الكتاب وغلافه وورقه فقد لزم على المشتغلين بصناعة الكتاب أن يفتحوا أبواب رواقهم أمام القراء. عسى أن يصبح التفاعل بين صناع الكتاب وقرائه عاملاً فى دفع عجلة الكتاب إلى الأمام.

وهذه المقدمة هى البوابة الخارجية لرواق صناعة الكتاب، حتى يستطيع القارئ أن يشاهد الكتاب كما يشاهد رغيف الخبز إذا أتيح له أن يرى داخل المخبز. إنها سياحة ومتعة واطمئنان فى آن واحد.

وتعالج هذه الدراسة «الكتاب» من منظور اقتصاديات الإعلام، وعلى ذلك قسمتها إلى خمسة فصول وخاتمة على النحو التالى:

فى الفصل الأول تناولت الكتاب باعتباره وسيلة إعلام، فاستعرضت تعريفات الكتاب المختلفة لكى أصل إلى خصائصه. ولكى أحدد ملامحه فى أطراف العملية الإعلامية من مرسل ومستقبل ورسالة ووسيلة وأثر ورد فعل. ثم بينت موقع الكتاب فى دوائر الإعلام من محلى إلى وطنى إلى عالمى. واستعرضت تاريخ الكتاب، ثم علاقة الكتاب بالتراث وبالرقابة. وختمت الفصل الأول بالحديث عن مستقبل الكتاب.

وكان الفصل الثانى خاصا بالمؤلف. فأجبت عن سؤال هام هو: هل التأليف مهنة؟ ثم تحدثت عن المؤلف فى التاريخ، وعن المؤلف فى النص القانونى. وحاولت تفسير الفروق بين المسميات المختلفة للمؤلف. وجعلت ملاحق هذا الفصل الاتفاقيات العالمية والعربية والقانون المحلى لحماية حق المؤلف.

وفى الفصل الثالث تناولت الناشر والنشر. وأجبت عن السؤالين الضروريين وهما: من الناشر؟ وما النشر؟ ثم تناولت لمحات من تاريخ النشر ثم فصلت أنواع نشر الكتب مثل نشر التراث، ونشر كتب الأطفال، ونشر الكتب الدراسية، ثم نشر الكتب المترجمة، ونشر الكتب الدينية، والنشر العام. ثم تناولت الهياكل التنظيمية لدور النشر. وعرجت على وظائف النشر: الاقتصادية، والمهنية، والفكرية. أوبعد ذلك تناولت واقع النشر المصرى المعاصر ومشاكله. وألحقت بهذا الفصل نص قانون المطبوعات ونماذج لعقود النشر.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لطباعة الكتاب وإخراجه. وتناولت فيه نشأة الكتاب كمدخل لدراسة ونشأة الكتابة العربية والخط العربى. ثم تناولت رحلة الورق من البردى إلى اختراع الصينيين

فى عام ١٠٥ ميلادية ومسيرته الجغرافية والتاريخية حتى القرن التاسع عشر. وتناولت المطبعة وظهورها. ثم تطور إخراج الكتاب من الحضارات القديمة إلى اليوم. وختمت هذا الفصل بتناول عناصر إخراج الكتاب بشىء من التفصيل. وكانت الصور أكثر ما فى هذا الفصل دلالة وتعبيرًا.

وكان الفصل الخامس عن توزيع الكتاب والمكتبات فدرست التوزيع باعتباره حلقة رئيسية فى سلسلة النشر، والعوامل التى تزيد من توزيع الكتاب، والعوامل التى تقلل من توزيعه، ودرست المكتبات فى تاريخها وفى حاضرها وعلى وجه الخصوص المكتبة الوطنية ودورها المعاصر. وكانت الخاتمة عن المشكلة المعاصرة للكتاب العربى.

وعند الحديث عن منهج البحث فى هذا الكتاب فإننى أعترف بأن موضوع الدراسة أعاننى فى استخدام المنهج الذى أحبه وأفضله فى الدراسات الإعلامية. وهو منهج الأبعاد المتعددة لدراسة الظاهرة الإعلامية أو المشكلة الإعلامية.

إن الدراسة فى جملتها رؤية «بانورامية» موسوعية لمشكلة الكتاب من حيث المحتوى باعتباره إعلامًا وباعتباره علمًا، ومن حيث الهيكل باعتبار النشر عملاً تجاريًا. وباعتبار مؤسسة النشر إحدى الهياكل الاقتصادية فى المجتمع. وبين المحتوى والهيكل تتعدد الأبعاد الفنية والتاريخية والاجتماعية وغيرها، والتى تسهم بدرجات متفاوتة فى إجلاء حقيقة مشكلة الكتاب.

إن علوم الاقتصاد والمكتبات والقانون هى ألصق العلوم بعلم الإعلام فى هذه الدراسة.

أما مراجع الكتاب فيمكن تقسيمها إلى خمس مجموعات تشمل الكتب العربية، ثم الكتب الأفرنجية، ثم الكتب المترجمة إلى العربية، ثم المقالات وقصاصات الصحف والإحصائيات والقوانين والتقارير، ثم دوائر المعارف والمعاجم.

ومن أهم المراجع المؤلفة باللغة العربية كتاب «حركة نشر الكتب فى مصر» دراسة تطبيقية للزميل الدكتور شعبان خليفة. وهذا الكتاب القيم الذى تبلغ صفحاته ٦٧٠ صفحة من القطع الكبير يعد عملاً علميًا أساسيًا وصلبًا فى موضوع النشر باللغة العربية وفى الواقع المصرى بصورة أساسية. وهو جوهر رسالته فى عام ١٩٧٢ لدرجة الدكتوراه بعنوان حركة نشر الكتب فى مصر واقعها ومستقبلها.

أما المراجع الأجنبية فمن أهمها كتاب الحقيقة عن النشر أو حقائق النشر The Truth About Puplishing فى طبعته التاسعة. ذلك الكتاب الذى كتبه الناشر البريطانى الذائع الصيت «السير ستانلى يونوين» ونشرت طبعته الأولى فى أكتوبر ١٩٢٦ ولحقتها الطبعة الثانية فى نوفمبر من العام نفسه. وتلاحقت الطبعات بعد ذلك الثالثة فى عام ١٩٢٩، ثم الرابعة فى عام ١٩٤٦، والخامسة فى عام ١٩٤٧، والسادسة فى عام ١٩٥٠، ثم كانت الطبعة السابعة فى عام ١٩٦٠، معدلة ومنقحة ولحقتها الثامنة فى عام ١٩٧٠ ثم آخر طبعاته حتى الآن وهى التاسعة تلك الطبعة التى تحمل اسم فيليب يونوين الذى قام بتنقيح الكتاب وإعادة صياغته، ويحظى هذا الكتاب بأهمية بالغة فى مجال النشر ليس فى بريطانيا وحسب بل فى العالم بأسره. لقد ترجم ونشر حتى عام ١٩٦٧ إلى اللغات التاليه فى العواصم التاليه: التشيكية - براغ، الدانمركية - كوبنهاجن، الهولندية - ماسترشت، الفرنسية - باريس، الألمانية - شتوتجارت، الهندية - نباراس، الأندونيسية - جاكارتا، الإيطالية -

ميلان، اليابانية – طوكيو، البرتغالية – بورتو، وفى ريودى جانيرو، الأسبانية – برشلونة، السويدية – استوكهولم، التركية – اسطنبول.

ومن أفضل المراجع المترجمة إلى العربية كتاب Svend Dahl «سفندال» تاريخ الكتاب Histoire du livre الذى ترجمه إلى العربية محمد صلاح الدين حلمى عام ١٩٥٨ وراجع الترجمة توفيق إسكندر أستاذ الوثائق بكلية الآداب بجامعة القاهرة آنذاك.

ولقد حاولت فى مجال المراجع أن أركز على نقطتين جديدتين هما:

١ – مزج التراث العربى بالفكر العالمى المعاصر فحاولت أن أقابل عبدالحميد الكاتب وابن النديم مع سارتر وأدونيس.

٢ – الاعتماد على الصحف أو بمعنى أدق على القصاصات الصحفية حول بعض جوانب الدراسة.

هذا إلى جانب الإحصائيات والتقارير والقوانين التى اقتربت من البحث.

وبعد .. لعل هذه الدراسة تسهم فى عودة النشر إلى رحاب الدراسات الإعلامية. ولعلها تقيم جسورًا بين الدراسات الإعلامية والدراسات المكتبية والدراسات الاقتصادية. ولعلها قبل ذلك وبعده أن تنفع الأطراف المشتركة فى إنتاج الكتاب وتنفع قراء الكتب، والله ولى التوفيق.

د. محمد سيد محمد
أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة